٦ ـ قراءة فى خطاب السيد حسن نصر الله بين بناء نسق وهدم أسطورة

أ. نسمة شرارة(*)

«إن إسرائيل قوية فى أوهامنا فقط، وإنه عندما يسقط هذا الوهم ونستخدم القوة الكامنة فينا سنجد أن هذا الكيان الذى اسمه إسرائيل أوهن من بيت العنكبوت».

حسن نصر الله

مقدمة

تعكس إستراتيجية حسن نصر الله فى تعامله مع الأداة الإعلامية فى مرحلة العدوان على لبنان إدراكه لأمرين:

ـ الدور المحورى الذى تلعبه هذه الأداة فى التأثير على قناعات وإدراكات الطرف المستهدف، من خلال قدرتها على نقل الأخبار والأفكار والمعلومات.

ـ خطورة الأداة الإعلامية، باعتبارها من أهم الأدوات التى تستخدم فى الحرب النفسية، وبالذات فى أوقات الصراع؛ فعلى سبيل المثال هى الأداة القادرة على نقل أخبار الميدان وتفاصيلها بطريقة قد تقوى المعنويات أو تضعفها؛ تقلل من قيمة الانتصار أو تزيد من وقع خسائر ضئيلة، أو تضخم القدرة الدبلوماسية لدولة معينة لإجبار الآخرين على السير مع توجهاتها[1] فيقول نصر الله: **«إننا بمواجهة التهديد والخطر نحن بحاجة إلى الدبلوماسية والسياسة والإعلام؛ الإعلام الذى يحدد العدو والصديق، الإعلام الذى**

(*) باحثة فى العلوم السياسية، مركز البحوث والدراسات السياسية ـ كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ـ جامعة القاهرة.

يخوض الحرب النفسية مع العدو، والذى يستنهض الهمم..» «.. بحاجة إلى إستراتيجية إعلامية....»[٢].

والدلـيل على تبلور هذا الإدراك من جانب نصر الله إنشاؤه لقناة المنار التلفزيونية فى عام ١٩٩٦؛ وذلك لقناعته بأهمية «نشر الكلمة بين الناس»[٣] ومنذ عام ٢٠٠٠ أصبحت قناة المنار تبث إرسالها للعالم كله عبر الأقمار الصناعية. وكان نصر الله يهدف من ذلك إلى وصول دعاية حزب الله وخطبه ورسائله إلى مسمع العالم كله. وفى عام ٢٠٠٤ قُدر عدد مشاهدى قناة المنار بعشرة ملايين[٤].

وتعد خطب حسن نصر الله من أهم الأدوات الإعلامية التى استخدمها أثناء العدوان على لبنان لمواجهة ما هو أخطر من الضربات العسكرية وهدم البنية الأساسية؛ وهو محاولة العدو الإسرائيلى اختراق معنويات الشعب اللبنانى وتحطيمها.

ولمواجهة هذا الخطر وظف نصر الله خطبه لتحقيق هدفين:

١ـ **الهدف الأول**: بناء النسق الفكرى والقيمى للجبهة الداخلية: وهذا الهدف يعكس إدراكه لمدى خطورة اختراق هذا النسق من جانب العدو؛ لما يؤدى إليه من اضطراب فى المجتمع وضعف قدرته على الصمود.

٢ـ **الهدف الثانى**: هدم أسطورة الأمن الإسرائيلى: وهذا الهدف يعكس معرفته لطبيعة المجتمع الإسرائيلى، وأن أحد أساليب إضعافه خرق نسيج المجتمع، وبث الشعور داخله بالخوف والقلق وعدم الثقة.

وعلى هذا النحو تقدم الدراسة قراءة فى خطب نصر الله فى مرحلة العدوان على لبنان، فى محاولة للتعرف على كيفية تفعيل خطبه فيما يمكن تسميته بـ«المقاومة النفسية». وتنقسم الدراسة إلى ثلاثة محاور أساسية؛ وذلك على النحو التالى:

أولاً: حسن نصر الله: صناعة كاريزمية

الإنسان ليس وليد فكره؛ إنما هو نتاج تفاعله مع البيئة المحيطة به، والتى تؤثر فيه وفى تركيبته الشخصية، ويؤثر هو فيها من خلال فكره ومعتقداته.

ولد حسن نصر الله فى ٣١ أغسطس ١٩٦٠ فى بلدة البازورية فى الجنوب اللبنانى، فى عائلة مكونة من أربعة أشقاء هو أكبرهم، وخمس شقيقات[٥] انتقل فى سن صغيرة من البازورية إلى حى الكرنتينا فى الضاحية الجنوبية لبيروت، وهى من المناطق التى تتسم بالبؤس والفقر الشديد. وقد نشأ حسن نصر الله فى عائلة فقيرة، فكان والده السيد عبد الكريم نصر الله بائع فواكه وخضروات. . وحينما تحسنت حالته فتح محل بقالة صغيراً، وكان حسن يذهب لمساعدته هناك. وقد التحق بمدرسة النجاح فى الحى ليتلقى تعليمه الابتدائى، ثم مدرسة سن الفيل الحكومية[٦] وقد تأثر نصر الله فى هذه الفترة الأولى من نشأته بثلاثة عوامل كان لها دور كبير فى تكوين شخصيته:

- إن منطقة الكرنتينا التى أمضى فيها السنوات الأولى من عمره منطقة يتجمع فيها المحرومون من كل بقاع لبنان، ولم يوحد بينهم رابطة الدين أو الطائفة؛ وإنما الحرمان والفقر، وبالتالى نشأ نصر الله وفكره خالٍ من التعصبات الدينية أو العرقية.

- كبر حسن نصر الله وأمامه مثل أعلى طالما حلم بأن يكون مثله؛ وهو مقتدى الصدر مؤسس المجلس الإسلامى الشيعى وحركة المحرومين. ففى سيرته الذاتية يروى حسن نصر الله أن والده كان لديه صورة لمقتدى الصدر معلقة على الحائط فى محل البقالة الذى كان يمتلكه؛ فكان يجلس وهو صغير على الكرسى أمام تلك الصورة، ويطيل النظر إليها، ويتمنى أن يصبح مثله يومًا، وقد كان يراقب حركة الإمام وخطبه فى الكنائس والمساجد والساحات العامة، والتى كان يركز فيها بالأساس على مفاهيم مثل الإنسان، الوطن، الكرامة، الإيمان، التنمية. واستمر حبه لمقتدى الصدر راسخًا فى وجدانه طوال حياته، ويتجلى تأثيره على معتقداته التى تنعكس بوضوح فى خطبه وفى تكوين شخصيته وتمتعه بحضور طاغٍ وكاريزما.

- عمله فى محل والده منحه فرصة كبيرة لممارسة شغفه بالقراءة؛ فكان يذهب هناك لمساعدته وهو فى التاسعة من عمره ويقرأ القرآن أو القصص الدينية عن الرسول. وكان نصر الله يقرأ كل ما يقع تحت يده من مادة للقراءة؛ فإن وجد كتابًا لا يفهمه يضعه جانبًا ليقرأه حينما يكبر سنًا[٧] كان ينزل إلى البرج ساحة الشهداء القديمة مركز المدينة ليحصل على كتب لدى باعة الكتب المستعملة الذين كانوا يفترشون الرصيف[٨]؛ ومن ثم أدرك نصر الله منذ سن صغير أهمية المعرفة وكيفية الوصول إليها وتوظيفها.

ـ لم تكن عائلته متدينة بشكل متميز، ولكن حسن نصر الله كان متدينًا منذ الطفولة؛ فلم يكن فى الحى الذى يعيش فيه مسجد فكان يذهب إلى مسجد سن الفيل أو برج حمود أو النبعة ليصلى. ويقول رفاقه فى مدرسة الكفاح إنه كان متدينًا بالفطرة، ولا يقبل أى مزاح يمس الدين[٩]؛ ومن ثم أصبح الدين جزءًا أساسيًا من خريطة إدراكه ومحركه الأساسى ومنظوره للعالم من حوله.

وكان لمجريات الأوضاع الداخلية أثر كبير فى تكوين شخصية نصر الله فى هذه المرحلة؛ فقد كانت لبنان فى هذه الفترة تغلى؛ تصارع شديد بين الأحزاب، خلل داخلى واقتحام من قوى خارجية، مع وجود عشرات الآلاف من النازحين الفلسطينيين يتدفقون ويشكلون ضواحى فقيرة جديدة، وبالتالى تنامى عند نصر الله منذ صغره وعى شديد بأمرين كان لهما أثر كبير على فكره من بعد: الواقع اللبنانى وتعقيداته، وخطورة تركيبته، والصراع التاريخى الذى يدور على الأرض التى تقع وراء الحدود.

فى عام ١٩٧٥ دخلت لبنان الحرب؛ ومن ثم عاد النازحون إلى قراهم الأصلية، فعادت عائلة نصر الله إلى البازورية والتى أنهى فيها نصر الله تعليمه الثانوى فى مدينة صور الساحلية[١٠].

وقد مثلت هذه النقلة منعطفًا مهمًا فى حياة السيد حسن نصر الله، فعندما عاد إلى البازورية بدأ فى زرع أول نواة فى تاريخ سجله السياسى؛ حيث انخرط فى صفوف حركة أمل، والتى كانت تعرف وقتها بحركة المحرومين. وقد كان انضمامه للحركة نابعًا من تعلقه العاطفى بمقتدى الصدر، وأصبح ممثلاً للقرية وهو فى الخامسة عشرة من عمره.. ومن هنا بدأت خبرته التنظيمية، والتى تطورت معه عبر السنوات لتصبح هى من أهم نقاط قوة حسن نصر الله.

ولكن بعد فترة قصيرة بدأ اهتمامه بقرية البازورية يتراجع؛ لأن تلك القرية كانت تتحول إلى ساحة لنشاط المثقفين الماركسيين، وخاصة مؤيدى الحزب الشيوعى اللبنانى؛ ومن ثم عقد العزم على السفر إلى النجف فى العراق ليكمل تعليمه.

وهو فى السادسة عشرة من عمره قابل فى مسجد فى مدينة صور العلامة السيد محمد الغروى، وكان يعمل مدرسًا نيابة عن الإمام موسى الصدر. وبمجرد أن علم العلامة قرار نصر الله كتب رسالة توصية إلى آية الله السيد محمد باقر الصدر ليدخله بفصوله فى النجف.

لدى وصوله إلى النجف تعرف على عباس الموسوى؛ مما كان بداية صداقة دامت لسنوات، وأثرت بشكل كبير على حياته؛ حيث أصبح فيما بعد أستاذه وملهمه ورفيق دربه وكفاحه، حتى تم اغتياله بواسطة صاروخ إسرائيلى أطلق من مروحية ليدمر سيارته وليستشهد ومعه زوجته وطفله[١١].

وقد قرأ الصدر الرسالة وأوصى تلميذه الموسوى أن يهتم بحامله، وأن يوفر له حاجاته الأساسية، ومن هنا عاش نصر الله فى إحدى الحوزات العلمية فى النجف، والتى تتسم بالنظام الشديد والتقشف والزهد؛ فهى وحدة لطلب العلم[١٢].

وقد بدأ حسن نصر الله دراسة المقدمات؛ وهى المدخل الأساسى لطالب العلم، وكان أحد تلاميذ عباس الموسوى الذين اتسموا بالانضباط الشديد والجدية، وبسبب ذلك استطاع نصر الله وزملاؤه الانتهاء من هذه المرحلة فى سنتين بدلاً من خمس؛ بسبب رفضهم قطع الدروس بالإجازات[١٣]؛ مما يدل على مدى جدية نصر الله والتزامه وشغفه بالعلم.

وقد أتم المرحلة الأولى فى عام ١٩٧٨؛ إلا أن ثلاثة أمور حالت دون استكمال تعليمه هى: خطف السيد موسى الصدر فى ليبيا فى مرحلة حرجة جدًا فى لبنان، والاجتياح الإسرائيلى الأول للبنان؛ مما خلق أوضاعًا سياسية معقدة، ومنها توسيع نفوذ الفلسطينيين وحلفائهم من ناحية، واختراق إسرائيل مواقع سياسية لدى العديد من الأطراف اللبنانية من ناحية أخرى، كما بدأ نظام البعث الحاكم ممارسة ضغط على الدارسين الأكراد، ورحل الكثير منهم إلى بلادهم؛ حيث تم اتهام الدارسين اللبنانيين بأنهم عملاء لحركة أمل، أو بأنهم عملاء لجهاز المخابرات السورية[١٤].

أغارت قوات صدام حسين على الحوزة الدينية، وقد قُدر لنصر الله ألا يكون هناك عندما أغارت الشرطة عليهم، وبمجرد أن حدث ذلك غادر النجف فورًا وعاد إلى لبنان، ولكنه لم يعد إلى الجنوب بل إلى بعلبك؛ حيث أسس عباس الموسوى هناك مدرسة على غرار النجف، وهنا واصل حسن نصر الله تعليمه فى هذه المدرسة، وفى نفس الوقت أبقى نصر الله تعاونه مع حركة أمل، وعين فور رجوعه ممثلاً سياسيًا لها فى منطقة البقاع.

لعبت الأحداث الإقليمية دورًا مهمًا فى هذه المرحلة من حياة حسن نصر الله أهمها:

ـ اندلاع الثورة الإيرانية، وانتقال وهجها إلى لبنان، وانتشارها وبالذات فى البقاع، وتم فتح خط عقائدى بين رجال الدين الذين عملوا فى حركة أمل فى البقاع وإيران من خلال الزيارات المتبادلة؛ ومن ثم بدأت العلاقات مع إيران تتنامى.

ونتيجة لذلك بدأ يحدث انقسام واضح داخل حركة أمل، والتى كان يتزعمها فى ذلك الحين نبيه برى، وقد تجلى هذا الانقسام فى تيارين:

* تيار سياسى بقيادة نبيه برى، والذى التزم بالخط السورى.

* تيار دينى كانت قاعدته رجال الدين، وبالتحديد المجموعة التى جاءت من النجف وتابعت دراستها فى حوزة الموسوى، إضافة إلى مئات من الكوادر الذين أطلقوا على أنفسهم «أفواج المقاومة المؤمنة».. وكان خط الإمام الخومينى واضحًا، وقدمت إيران إليه العديد من المساعدات(١٥).

ـ فى يونيو ١٩٨٢ بدأت إسرائيل اجتياح لبنان، واستولت على بيروت.. وعلى إثر ذلك تأسست «جبهة الخلاص الوطنى»، وقد أبدى نبيه برى قدرًا كبيرًا من الاهتمام بالانضمام إلى تلك الجبهة، ولكن الأصوليين الدينيين عارضوا ذلك لأنهم رأوا أنها تهدف إلى إيصال بشير الجميل إلى رئاسة الجمهورية؛ الأمر الذى يرفضونه؛ لأنه فى نظرهم رئيس للقوات اللبنانية يرمى إلى التطبيع مع العدو الإسرائيلى(١٦). هذا التيار المعارض ومنه الموسوى ونصر الله وإبراهيم السيد انفصلوا عن الحركة، ودخلوا فى ائتلاف مع جماعات أخرى خارج تلك الحركة، وشكلوا نواة «حزب الله»، والذى بدأ العمل سرًا، وأعلن رسميًا بعملية استشهادية قام بها أحمد قصير(١٧).

وقد تأسس حزب الله وحسن نصر الله فى الثانية والعشرين من عمره، وحتى مع صغر سنه إلا أنه أصبح مديرًا للحزب فى منطقة بعلبك، ثم لمنطقة البقاع بأسرها، ثم عُين معاونًا، ثم نائبًا للسيد إبراهيم أمين السيد الذى كان مديرًا للحزب فى بيروت.

بعدها قرر الحزب أن يفصل الشئون السياسية عن نشاطه العملياتى والتنظيمى، واختار السيد إبراهيم الفرع السياسى، وأصبح نصر الله مسئولاً عن الجانب التنظيمى؛ ومن ثم مدير منطقة بيروت من بعده، ثم تم استحداث منصب المدير العام التنفيذى والذى تولاه نصر الله؛ وهو المسئول عن تنفيذ أوامر المجلس الاستشارى، الذى يضم علماء ومجاهدين وقاعدة جماهيرية. وقد عانى المجلس من أن حلقة الوصل بين المجلس والقاعدة لم تكن

ظاهرة بوضوح؛ مما أدى إلى ضياع المسئولية عند التنفيذ الخاطئ للقرار؛ ومن ثم بتوليه هذا المنصب أصبح نصر الله حلقة الوصل؛ أى إنه صار مسئولاً عن تعميم القرار وتنفيذه وتحمل مسئوليته ومتابعته.

وقد منح هذا المنصب نصر الله ميزتين أساسيتين: ساهم هذا المنصب فى مد وتقوية علاقاته بالقاعدة الشعبية، والتى استطاع كسب ثقتها، كما نمى خبرته التنظيمية؛ حيث شارك حسن نصر الله بين عامى ١٩٨٢، و١٩٨٩ فى عدة مهمات تنظيمية، ساهم خلالها فى بناء الكوادر وتعليمها وتحضيرها للمقاومة والجهاد.

ومع هذا لم يغب عن عينى نصر الله حلمه القديم، وشغفه للعلم والمعرفة، وتكملة تعليمه الدينى؛ ولهذا ترك كل شىء فى عام ١٩٨٩ وذهب إلى قُم فى إيران لاستكمال دراسته، ولكنه سرعان ما عاد إلى لبنان فى عام ١٩٩٠ بسبب:

* آلية الصلح الأمريكية السورية الجديدة التى سمحت لدمشق بدور أكبر فى لبنان بعد إطاحة ميشيل عون؛ هذا الدور الذى رأى فيه نصر الله فرصة كبيرة لدعم المقاومة.

* وجود علاقات إيرانية سورية جديدة سمحت بعبور المساعدات.

* سهل الجيش اللبنانى مرور المقاومين ورفض أى قرار يؤدى إلى التصادم حتى لا يكون حاجزاً بين المقاومة وإسرائيل.

ومن ثم وجد نصر الله فى هذه الظروف فرصة كبيرة لدعم المقاومة، فترك قُم وعاد إلى لبنان.

فى عام ١٩٩١ انتخب الموسوى أمينًا عامًا لحزب الله، والشيخ نعيم قاسم نائبًا له، أما نصر الله فعاد إلى منصبه القديم كمسئول تنفيذى لقرار مجلس الشورى، ولكن سرعان ما جرت الأحداث ليواجه نصر الله بفاجعة كبرى؛ حيث استشهد صديق عمره عباس الموسوى بصاروخ إسرائيلى لينتخب مجلس الشورى حسن نصر الله أمينًا عامًا من بعده، رغم أنه الأصغر سنًا من بين أعضاء المجلس.

ويقول نصر الله إنه عندما تم اختياره لهذا المنصب رفض فى أول الأمر؛ فقد كان لديه مخاوف كثيرة وقلق شديد لأنه كان صغير السن، وكان فى ذلك الوقت مكلفًا فقط بالترتيبات الداخلية للحزب، ولم تكن له خبرة فى شئون الحزب الخارجية[١٨].

خاض حسن نصر الله منذ توليه الأمانة العديد من الحروب والمواجهات مع المحتل الصهيونى، منها حرب «تصفية الحساب» فى عام ١٩٩٣ وحرب «عناقيد الغضب» فى إبريل ١٩٩٦ التى توجت ما عرف بتفاهم نيسان؛ وهو عملية تنظيم الاشتباك فى الجنوب اللبنانى، فتم الاعتراف دوليًا ولأول مرة بحق المقاومة فى العمل والتحرك بعدما كانت توصف بالإرهاب؛ مما أتاح للمقاومة حرية الحركة، ومكنها من تحرير الأراضى فى مايو ٢٠٠٠[١٩].

وتتسم شخصية حسن نصر الله بالعديد من السمات التى جعلته يحظى بشعبية واسعة، سواء بين أنصاره، أو حتى لدى العدو؛ ومنها:

- **الهدوء والثبات**: فهو عندما يتحدث يبعث شعور بالأمل والأمان والطمأنينة واليقين بما ستجرى عليه الأمور.

- **الكاريزما**: يرى نصر الله أن الكاريزما موهبة إلهية يمكن تنميتها من خلال التثقيف واكتساب الخبرة، ولكن يظل هناك عنصر لا بد منه وهو الموهبة.

- **الصدق**: وهى الصفة التى أكسبته ثقة الناس، وتعضدت هذه الصفة باستشهاد ابنه الأكبر هادى، والذى كان فى الصفوف الأمامية فى إحدى عمليات حزب الله ضد جنود الاحتلال فى عام ١٩٩٧.

ثانيًا: بناء النظام الفكرى والقيمى فى الجبهة الداخلية[٢٠]

من أهم أهداف الحروب النفسية تدمير النظام القيمى والفكرى فى المجتمع؛ لإحداث بلبلة فكرية، ولإضعاف قدرته على التحدى. ويتضح من خلال تحليل خطب نصر الله فى الفترة قبل وأثناء وبعد العدوان على لبنان؛ إدراكه لأهمية وجود نظام فكرى وقيمى، وحمايته، وبالتالى كانت رسائله الموجهة إلى الجبهة الداخلية تهدف إلى بناء نسق فكرى وقيمى؛ ليكون واضحًا وثابتًا فى الأذهان من هو العدو؟ وما هى القضية؟ وماذا يجب فعله؟

ويمكننا رصد هذا النسق بتحليل الرسائل المتضمنة فى خطبه من خلال البحث فى رؤيته حول الأسئلة التالية:

١ـ سؤال الهوية : من أنا؟

٢ـ سؤال الواقع : ماذا حدث؟

٣ـ سؤال التراث : ماذا نملك؟

٤ـ سؤال المستقبل : ماذا سيكون؟

١ـ سؤال الهوية

تعكس خطب حسن نصر الله وعيًا شديدًا لأهمية معرفة الذات، والتى من خلالها يتم تحديد من هو «الآخر»؛ وذلك بقوله : «يجب أن نعرف عدونا وأن نعرف أنفسنا»[٢١].
وينقسم سؤال الهوية إلى ثلاثة أسئلة يعكس كل منها مستوى من التحليل :

(أ) من أنا؟

كان لظروف نشأته بصمة واضحة على رؤية حسن نصر الله للذات :

ـ إن نشأته فى حى الكارنتينا ـ كما سبق الإشارة ـ لم ينشئ بداخله أى تعصبات طائفية أو دينية؛ فرابطة الفقر والحرمان كانت أقوى من أى رابطة أخرى، والفقر دائمًا لا يهدر دينًا أو طائفة؛ وإنما يهدر الإنسانية.

ـ تأثره الواضح بمثله الأعلى منذ الطفولة مقتدى الصدر، والذى كان دومًا يتحدث عن الإنسان والكرامة كقيمة عليا.

يتضح من خطب نصر الله وجود انسجام شديد فى رؤيته للذات؛ فهو يرى نفسه فى المقام الأول إنسانًا ذا كرامة، ومن بعد ذلك مسلم الديانة، لبنانى الوطن، حضارى القضية. فالإنسان والكرامة قيمتان تسموان فوق كل القيم، ومن الكرامة يستمد الإنسان وجوده وكيانه؛ فلا تخلو خطبة واحدة من خطب نصر الله من هاتين القيمتين: **«نحن أصحاب كرامة، كرامتنا قبل كل شىء، لا يمكن أن نسمح لأحد أن يهدر كرامتنا»**[٢٢] **«نحن شعارنا الحقيقى والأساسى أولاً الكرامة، البيوت هُدمت ويعاد بناؤها إن شاء الله، البنية التحتية ضربت ويعاد بناؤها إن شاء الله ولكن الكرامة لا يسمح أن يهدرها أحد»**[٢٣].
وتأتى بعدها كافة القيم الأخرى؛ فالدين قيمة، والوطن قيمة، والحضارة قيمة؛ وهى قيم لا تتضارب مع بعضها البعض؛ وإنما تترابط وتتداخل لتشكل بناء فكره ومنظوره لما حدث وما يحدث، وما يجب أن يكون.

(ب) من نحن؟

وتنقسم رؤية حسن نصر الله للـ«نحن» إلى ثلاثة مستويات:

* نحن «المقاومة».

* نحن «الشعب اللبنانى».

* نحن «الأمة».

وهنا توجد ملاحظة أساسية فى هذا السياق؛ وهى وجود ترابط بين المستويات الثلاثة للـ«نحن»؛ فمثلاً يرى أن المجاهد لا يدافع عن أرضه، بل يدافع أيضًا عن حضارته، وذلك بقوله: أنتم تاريخ الأمة/ أنتم حضارتها/ أنتم ثقافتها/ أنتم قيمها.

فالمجاهد ـ كما يرى نصر الله ـ له واجب وطنى، جهادى، إيمانى، إنسانى، أخلاقى. كذلك هو دائم الحديث على أن المقاومة مقاومة شعبية بالأساس، وكذلك يرى أن انتصار المقاومة ليس انتصارًا للبنان بل للأمة بأكملها.

(جـ) من هم؟

وبسبب وضوح رؤيته للأنا والنحن؛ استطاع نصر الله أن يحدد «الآخر» العدو وهو:

ـ **العدو المباشر**: وهو إسرائيل.. ويفرق نصر الله بين ثلاثة طباع للعدو:

* إما أن يكون العدو ذا طبيعة عدوانية.

* إما أن يكون ذا أطماع توسعية يريد أن يسيطر على الأرض والموارد.

* إما أن يكون لديه مشاكل داخلية؛ ومن ثم يهرب منها، من خلال خلق مشاكل خارجية مع جيرانه.

وبناء عليه يرى نصر الله أن الكيان الصهيونى تتجمع فيه كل هذه الطباع؛ فهو كيان ذو طبيعة عدوانية من ناحية، له أطماع تاريخية من ناحية أخرى، بالإضافة إلى ما يعانيه من مشاكل فى الداخل(٢٤).

ـ **العدو غير المباشر**: وهى الولايات المتحدة الأمريكية، وقد وصفها نصر الله بأنها الشيطان الأكبر، وأنها أساس الفساد والغطرسة فى العالم(٢٥).

والجدير بالذكر فى هذا السياق أن هناك اختلافًا فى خطاب نصر الله قبل العدوان وبعده فى ترتيب من هو العدو؛ فقبل العدوان كان العدو الأول والمباشر هو إسرائيل، أما الولايات المتحدة فهى التى تساعد إسرائيل بالمال والسلاح، أما بعد العدوان فأصبحت إسرائيل أداة فى يد الإدارة الأمريكية: **«إسرائيل أداة طيعة وتنفيذية لمشروع أمريكى وقرار أمريكى»**[٢٦]، والتى تحاول استخدامها لتحقيق أغراضها فى المنطقة؛ ومن ثم التأكيد المتكرر على وصف العدوان بأنه «العدوان الصهيونى الأمريكى».

وبناء على ما سبق؛ حدد نصر الله الأطراف المستهدفة من خطابه، والرسائل المتضمنة لكل منهم؛ فسنجد فى خطبه أربعة مستويات من الرسائل:

* رسائل لمقاتلى المقاومة وأسر الشهداء.

* رسائل للداخل اللبنانى شعبًا وحكومة.

* رسائل لأطراف الأمة الإسلامية سواء المؤيدة له أو المعادية (النظم والقيادات والشعوب ورجال الدين..).

* رسائل للعدو، وبالذات ما كان يوجه للمجتمع الإسرائيلى بشكل مباشر، والتى تُعد الرسائل الأولى من نوعها: «أريد أن أخاطب العدو وقيادته وشعبه، وخصوصًا شعبه...»[٢٧].

٢ـ سؤال الواقع: ماذا حدث؟

ويعنى هذا التساؤل إدراك صاحب الخطاب للواقع حوله. وتنص خطب السيد حسن نصر الله على أهمية الوعى بهذا الواقع، وضرورة معرفة **«حقيقة الحرب التى فرضت على لبنان وخلفيات العدوان الذى يشن على لبنان... وأن المعرفة بأى حرب تخاض الآن ستمكن من الرؤية لما يجب فعله فى المستقبل»**[٢٨].

يؤكد نصر الله أن الفاعل الأساسى والمحرك لهذا العدوان ليست إسرائيل؛ فهى أداة فى يد الولايات المتحدة الأمريكية، وأن هذا العدوان ما هو إلا جزء من خطة أوسع لخلق ما يسمى بمنطقة الشرق الأوسط الجديد؛ وهى المنطقة التى تحاول خلقها الإدارة الأمريكية لتسيطر على المنطقة، وتخوض فى شئونها ومواردها وخيراتها، وتكون شريكتها الأولى هى إسرائيل.. **«اليوم المشروع الذى انطلقت على أساسه الحرب، وخُططت على أساسه،**

وهو إعادة لبنان إلى دائرة السيطرة والهيمنة الأمريكية الإسرائيلية؛ يعنى أسوأ من اجتياح ١٩٨٢ وأسوأ من اتفاقية ١٧ آيار، المطلوب أن يخرج لبنان كليًا من تاريخه، من التزامه، من ثقافته من هويته الحقيقية ليصبح لبنان أمريكيًا صهيونيًا تديره أمريكا وإسرائيل من خلال وجهات لبنانية تطيع وتلتزم ولا حول لها ولا قوة»[٢٩].

وهو الأمر الذى أكد عليه نصر الله أثناء العدوان وبعده بقوله: **«يجب أن نؤكد اليوم أن هذه الحرب كانت حربًا أمريكية بالقرار والسلاح وبالتخطيط والإرادة، وبإعطاء مهلة تلو المهلة للصهاينة والذى أوقف الحرب هو عجز الصهاينة»**[٣٠].

ويؤكد حسن نصر الله على أن من الشروط الأساسية لتطبيق هذه الخطة **«القضاء على حركات المقاومة فى المنطقة»**. ويستدل نصر الله على صحة حجته بسرد وتحليل الخطوات التى تم اتخاذها بالفعل من جانب الولايات المتحدة فى هذا الصدد وهى:

ـ محاولة تصفية المقاومة الفلسطينية، ويؤكد نصر الله فشل هذه الخطوة بنجاح حركات المقاومة، وخصوصًا نجاح حركة حماس فى الانتخابات النيابية هناك؛ مما جعلهم يلجئون إلى حصار الشعب، ومنع تقديم المساعدات له؛ لدفع الأمور إلى الاقتتال الداخلى، حتى جاءت عملية أسر الجندى الإسرائيلى والتى أعادت توحيد الداخل تجاه المعركة الحقيقية.

ـ العمل فى الداخل اللبنانى على عدة أوجه:

* محاولة استغلال القوى السياسية للقضاء على المقاومة.
* محاولة استغلال الجيش اللبنانى للقضاء على المقاومة.
* إدخال حزب الله فى الحكومة والسلطة للتراجع عن مسئولياته الجهادية.
* الضغط على سوريا وإيران للمساومة على المقاومة فى لبنان[٣١].

ويؤكد نصر الله أن كل هذه الخطوات باءت بالفشل؛ ولهذا لم يعد أمام الولايات المتحدة الأمريكية سوى اللجوء لإسرائيل للقضاء على حزب الله.

وتعكس هذه الرؤية إدراكًا سياسيًا عميقًا لدى نصر الله لطبيعة العدوان الإسرائيلى على لبنان؛ حيث حرص فى خطابه على التأكيد على أن العدوان لم يكن مجرد رد فعل لأسر الجنديين الإسرائيليين؛ وإنما خطة توظف فى إطار الإستراتيجية الأمريكية تجاه المنطقة.

وفى سياق الحديث كان نصر الله دائم التأكيد على أن أسر الجنديين الإسرائيليين من جانب حزب الله لم يكن السبب الأساسى وراء العدوان؛ فالعدوان كان سيتم عاجلاً أم آجلاً؛ فخطة ضرب لبنان كانت موضوعة، وسيتم تنفيذها فى خلال أشهر قادمة على النحو التالى:

- أن تقوم إسرائيل بحملة برية قوية للسيطرة على جنوب نهر الليطانى؛ لمنع إطلاق صواريخ الكاتيوشا.

- أن يقوم السلاح الجوى الإسرائيلى فى نفس اللحظة بضرب بيوت قادة ومؤسسات ومراكز حزب الله.

- ضرب البنية التحتية لشل حركة المقاومة.

- تحريض الشارع اللبنانى على المقاومة[٣٢].

وقد حرص نصر الله سواء أثناء العدوان أو بعده على التأكيد الدائم على:

- حتمية العدوان: أى إنه لم يكن هناك خيار آخر؛ بل إن قيام حزب الله بعملية أسر الجنديين أحبطت **«الخطة الأسوأ»** للحرب بسبب استعجال العدو الحرب؛ ومن ثم فقدانه عنصراً مهمّا وهو المفاجأة.

- أن المقاومة هى الوحيدة القادرة على مواجهة العدوان؛ لأنها ليست جيشًا نظاميًا، وبالتالى لا تحارب بالطريقة النظامية، وإنما بطريقة حرب العصابات؛ مما يرفع الحرج عن الحكومة والجيش اللبنانيين[٣٣].

٣- سؤال التراث: ماذا نملك؟

ويعنى هذا التساؤل: ما هى رؤية صاحب الخطاب لما يمتلكه من قوة؟ يرى حسن نصر الله أن الأمة تمتلك أهم عنصر من عناصر القوة؛ وهى «المقاومة». وهناك عدة ملاحظات أساسية حول مفهوم «المقاومة» لديه:

- إدراكه الشديد بأن أهم عنصر من عناصر المقاومة هو الإنسان بكافة جوانبه المادية والروحية، وإدراكه لخطورة وقوة الجانب غير المادى، وعدم ربط الجانب المادى بالجانب الإيمانى فقط؛ إنما بالجانب الحضارى (قيم مشتركة، رؤية مشتركة)، وبالتالى العمل الدائم على تقوية هذا الجانب والتوعية بقدرته. **«أعظم قوة عندنا فى لبنان هى الإنسان الموجود**

على هذه الأرض، القادر على أن يملأ هذه الجبال والهضاب والأودية والسهول برجال مستعدين للمقاومة والصمود ورسخوهم كرسوخ الجبال فى السلسلة الغربية والشرقية»[٣٤].

- إن المقاومة حق من الحقوق الطبيعية للدفاع عن النفس، وذلك بقوله: **«طالما أن هناك تحركًا عسكريًا إسرائيليًا، واعتداء ميدانيًا إسرائيليًا، وأن هناك جنودًا إسرائيليين يحتلون أرضنا؛ فمن حقنا الطبيعى أن نواجههم وأن نقاتلهم، وأن ندافع عن أرضنا وعن ديارنا وعن أنفسنا، وبالتالى بطبيعة الحال طالما أن الإسرائيلى يمارس احتلالاً وعدوانًا؛ فإن المقاومة هى حق طبيعى لنا»**[٣٥].

- إن المقاومة متعددة الأبعاد؛ فلها أن تأخذ الشكل الذى يناسب الوضع سواءً سياسيًا أم دبلوماسيًا. . . ، ولكن تظل المقاومة العسكرية خيارًا قائمًا ويمكن استخدامه إذا تطلب الأمر: **«ونحن سنمارس هذه المقاومة بالطريقة التى نعتقد أنها مفيدة ومجدية»**.

- إن المقاومة ليست أداة هجومية؛ وإنما تستخدم للدفاع ورد الفعل: **«أنا أؤكد بأن المقاومة هى رد فعل، وبالتالى عندما تتوقف الأفعال العدوانية الإسرائيلية؛ فإن ردود الأفعال التى تعبر عنها المقاومة ستتوقف حتمًا، وبشكل طبيعى»**. . **«فصفنا للمستعمرات هو رد فعل وليس فعل، تعتدون على مدننا، على قرانا، على عاصمتنا، نحن نقوم برد الفعل»**[٣٦].

- إن المقاومة الشاملة هى جزء مهم من الإستراتيجية الدفاعية فى أى بلد[٣٧].

وبالنظر إلى مجمل الخطابات أثناء العدوان؛ نجد أن مفهوم المقاومة لدى حسن نصر الله يحدد مجموعة من المعايير القيمية:

(أ) الصمود والتضحية

يؤكد حسن نصر الله أن الهدف من المقاومة ليس فقط الانتصار على العدو، ولكن الصمود فى حد ذاته قيمة عليا، وقيمة قادرة على تغيير الواقع: **«صمودنا سوف يجعل الواقع من حولنا يتغير، الواقع الإقليمى والواقع الدولى»**[٣٨]. وإن الصمود يجب أن يقترن بالتضحية؛ فنصر الله دائم التعظيم لقيمة التضحية، وإن هذه التضحية لا تذهب هباءً: **«ومهما عظمت التضحيات فنحن لم نولد إلا من رحمها»**[٣٩]، وإن التضحية ليست

تضحية لشخص؛ وإنما هى تضحية تترجم لقضية فيها تحرير أرض/ كرامة/ شرف/ وجود.

(ب) المصداقية والشفافية

يرى نصر الله أن المقاومة لا تستقيم بدون مصداقية وشفافية، وأنهما عنصران من أهم عناصر قوة المقاومة: **«وأما شفافيتنا ووضوحنا دليلان على قوتنا وعلى إرادتنا»**[٤٠].

وهنا تتجلى هذه القيمة فى خطب نصر الله من عدة أوجه:

- ذكره الصريح المتكرر فى معظم خطبه أهمية المصداقية وقول الحقيقة، وأن الدليل الدائم هو الأداء والتجربة.

- تدعيم ركائز خُطبه بالحقائق والمعلومات (مثلاً: حول ما كان يحدث فى مارون الرأس، بنت جبيل، إعلان عدد الشهداء...).

- إظهاره الدائم لكذب وخداع وعدم مصداقية العدو: **«يصور العدو من خلال بياناته أنه احتل وسيطر ودخل وتمكن من إحكام سيطرته على مناطق واسعة من أراضى جنوب لبنان.. كثير من هذه الأمور - حتى لا أقول كلها - غير صحيحة وكاذبة، وهى جزء من الحرب النفسية للعدو الإسرائيلى»**[٤١].

(جـ) التضامن والثقة

لا تخلو أى خطبة من خطب نصر الله من تأكيد على ضرورة التماسك والتضامن ووحدة الصف، وجاء تركيزه الأساسى على الداخل اللبنانى؛ وذلك على عدة أوجه:

- النص الصريح والواضح على أهمية هذه القيمة على كافة المستويات الرسمية وغير الرسمية: **«أؤكد على أهمية التضامن الوطنى والوحدة الوطنية لمواجهة الاستحقاقات المقبلة»**. **«نؤكد على مبدأ أساسى هو الحفاظ على وحدة الصف والتضامن الوطنى والشعبى، وأيضًا التضامن الرسمى على مستوى الدولة ومؤسسات الدولة... لتكون هناك إرادة سياسية»** [٤٢].

- التحذير الدائم من خطورة التفكك، وخروج الخلافات الداخلية خارج ذلك السياق، ومحاولة استغلال طبيعة تركيبة الشعب اللبنانى لضرب الداخل بعضه ببعض: **«نحن منذ**

الأيام الأولى لاحظنا أن الإسرائيليين والأمريكيين يحرصون ويحرضون على إيقاع الفتنة والشقاق بين اللبنانيين فى داخل الحكومة اللبنانية، وبين القوى السياسية اللبنانية»[٤٣].

ـ التأكيد الدائم على أن حزب الله جزء لا يتجزأ من الشعب اللبنانى، وتأكيد طبيعة المقاومة، وأن المقاومة جزء من الشعب لا تهدف إلى طمس قوة الدولة؛ وإنما هدفها الدفاع عن الوطن، وليس السيطرة على الداخل: «**نحن حريصون أن نتعاون مع الحكومة، ومع كل التيارات والقوى السياسية؛ لنقدم لبنان موحداً متماسكًا حول ما يحفظ ويضمن مصالحه الوطنية**».

أما الثقة بين قوى الجبهة الواحدة؛ فهى أساس هذا التماسك والتضامن، وهى قيمة يحرص نصر الله على التأكيد عليها من خلال:

ـ تأكيده الدائم على ثقته بالحكومة وبالقوى والتيارات السياسية اللبنانية والجيش اللبنانى، ورفض الانصياع لأى تشكيك فى هذا المجال: «**فيما يتعلق بموقفنا من انتشار الجيش فى المنطقة الحدودية.. نعم نحن فى السابق كنا نعترض أو لا نوافق على نشر الجيش على الحدود، ليس شكًا فى الجيش لا سمح الله؛ لأن هذا الجيش هو جيش وطنى**»[٤٤].

ـ حث الشعب على ضرورة الثقة فى المقاومة وفى حزب الله استناداً ليس فقط لموقف الحزب من العدوان، ولكن من خلال تاريخ حزب الله وإنجازاته التى تشهد عليه: «**لا يجب أن يخاف أحد منكم من انتصار المقاومة؛ وإنما يجب أن يخاف من هزيمتها.. هكذا يتصرف الإنسان الوطنى**»[٤٥].

(د) المسئولية والالتزام

حسن نصر الله دائم التأكيد على فكرة الالتزام؛ فكان دائم النص على: التزامه تجاه الحكومة والجيش لتجنب مظاهر التسلح، والتزامه بتفاهم نيسان عام ١٩٩٦، والتزامه بوقف إطلاق النار، والتزامه بالنقاط السبع، كذلك ضرورة تحمل المسئولية.. وهذا اتضح بشكل كبير فى خطبته حول مسئولية حزب الله فى المساهمة فى إعادة بناء لبنان، من خلال إعادة بناء البيوت المهدمة، وإعطاء مبلغ مالى لمساعدة الضحايا، وإعادة بناء البنية التحتية[٤٦].

(هـ) الإرادة

أكد نصر الله على أهمية الإرادة على كافة مستوياتها: الإرادة السياسية، الإرادة الوطنية، الإرادة الجهادية، والإرادة الإيمانية؛ وأن هذه الإرادة هى التى تقف أمام العدو وقوته: **«ليكسب لبنان المعركة يحتاج إلى إرادة سياسية؛ يعنى لبنان يحتاج إلى إرادة سياسية لا تقل عن إرادة المقاومين فى لبنان، ولا تقل عن إرادة الصامدين والنازحين والمتضامنين معهم من كل أبناء الشعب اللبنانى.. لبنان بحاجة اليوم إلى إرادة وطنية جامعة»**[٤٧].

(و) الأخلاق والإنسانية

أكد حسن نصر الله على أن المقاومة يجب أن تبنى على الأخلاق والإنسانية بعدة صيغ منها:

* أن للمقاوم واجبًا أخلاقيًا بجانب واجبه الجهادى.

* أن للحرب قواعد، ومنها عدم الإضرار بالمدنيين: **«أنتم الجبناء تقتلون نساءنا وأطفالنا وشيوخنا، وتدمرون بيوتنا.. أما نحن فنقتل ضباطكم وجنودكم وندمر دباباتكم.. هذه هى الحقيقة الميدانية المشرفة التى نواجهكم بها»**[٤٨].

* رسالته إلى عرب حيفا، وحثهم على مغادرة المدينة لكى لا يلحق بهم ضرر.

* موافقته على وقف إطلاق النار لأسباب إنسانية لإخلاء المصابين.

* تأكيده على أنه إذا كان على علم مسبق بأن أسر الجنديين سوف يترتب عليه هذا، ما كان سيقدم عليه لأسباب إنسانية.

ومع هذا حذر نصر الله من النظر إلى القضية على أنها قضية إنسانية؛ فهى قضية سياسية بالأساس[٤٩].

٤ ـ سؤال المستقبل: ماذا سيكون؟

ويعنى هذا السؤال رؤية صاحب الخطاب للمستقبل، وما يجب أن يكون عليه. يلاحظ فى خطب نصر الله منذ أول العدوان وحتى نهايته؛ محاولة توصيل الشعور بأن الانتصار مؤكد؛ فالنصر لدى نصر الله حتمى، فهو سنة من سنن الله، وذلك بقوله: **«نحن إن شاء الله موعودون بالنصر»، «الدم يجب أن ينتصر على السيف؛ وهذه هى سنة الله»**[٥٠].

جاء تقييم حسن نصر الله لما حدث بأنه نصر إستراتيجى تاريخى، وأن هذا النصر له تداعيات هامة:

(أ) سوف يمثل ردعًا كبيرًا لإسرائيل، وأن هذا الصمود أوجد بالفعل واقعًا جديدًا؛ ففى عام ٢٠٠٠ كانت المقاومة تحرر أرضًا، وإنما الآن فالنصر أعظم؛ لأن المقاومة صمدت أمام اجتياح أقوى جيش فى المنطقة[٥١]؛ ومن ثم التنبيه على أن المنطقة سوف تدخل مرحلة جديدة مع إسرائيل، وهى المرحلة التى: «سنملى فيها شروطنا على العدو..»[٥٢].

(ب) التأكيد على ضرورة التمسك بالمقاومة؛ فالمقاومة لن تنتهى، وستستمر طالما أن إسرائيل تحتل الأرض؛ فحق المقاومة محفوظ فى أى وقت وأى مكان؛ ومن ثم لا يمكن نزع سلاح المقاومة، إلا إذا تم بناء «الدولة القوية القادرة المقاومة المطمئنة»[٥٣].

ثالثًا: اختراق أسطورة المجتمع الإسرائيلى الآمن

يرى المفكر الكبير الدكتور حامد ربيع[٥٤] أن هناك عدة قواعد عامة للإعداد للحرب النفسية منها:

- الدراسة العلمية المسبقة للخصم موضع الهجوم.
- الوصول إلى نقاط ضعف الخصم واستغلالها من خلال اختراق هذا الضعف.
- عدم اللجوء للكذب.

ولدى حسن نصر الله إدراك منذ صغر سنه بأن المعرفة هى مفتاح كل شىء، ويدرك أهمية دراسة العدو دراسة مفصلة لمعرفة تركيبته، ونقاط قوته وضعفه؛ ومن ثم كيفية التعامل معه، ومواجهته بالتالى.. وأكد على أن المقاومة قد: «عكفت بشكل تفصيلى ويومى على دراسة الكيان الإسرائيلى والمجتمع الإسرائيلى ومكوناته، ونقاط الضعف والقوة لهذا الكيان...».

ومن خلال دراسته للكيان الصهيونى استطاع استخلاص أمرين:

- أن إسرائيل ليست كيانًا ضعيفًا بقوله: **«نحن لا نقول إنّ إسرائيل ليست شيئًا أو إنها ضعيفة وواهنة، نحن نقول إنّ إسرائيل دولة قوية، وهى تملك أقوى سلاح جو فى الشرق الأوسط، وتملك جيشًا من النخبة، وتملك جيشًا من الاحتياط هو فى الحقيقة كل رجال**

ونساء المجتمع الإسرائيلى . . المدنيون فى المجتمع الإسرائيلى بحق الأطفال والعجزة، أمّا كل قادر على حمل السلاح فى إسرائيل هو ليس مدنيًا، هو جزء من جيش الاحتياط، وفى كل الحروب كان هؤلاء يشاركون بفعالية وقوة. أحدث تكنولوجيا موجودة عند الجيش الإسرائيلى والأمريكيون لا يخفون شيئًا عن الإسرائيليين، يكفى أن نقول إنّ عندهم ٢٠٠ رأس نووى على أقل تقدير، حتى اقتصاد إسرائيل هو ليس اقتصادًا ذاتيًا بكل ما للكلمة من معنى، وهو اقتصاد يعتمد بشكل أساسى على الدعم الأمريكى والغربى القوى واللامحدود. . . .»[٥٥].

- إن للقوة جانبين؛ جانب مادى وآخر غير مادى؛ فإذا كانت إسرائيل تتمتع بعناصر القوة المادية؛ فإن نقطة ضعفها الأساسية تكمن فى عناصر قوتها غير المادية . . فيرى نصر الله أن إسرائيل ضعيفة من عدة جوانب:

- أنّ إسرائيل كيان طارئ غير أصيل، ومجتمع غير متجانس، تجمعه أسطورة ليس لها أصل أو حقيقة؛ وهو وعد الأمن والسلام والعيش.

- أنهم كأفراد وكجماعة حريصون على الحياة، وهم متعلقون بشدّة بالدنيا وزخارفها ونعمها ومتاعها؛ فليس عندهم قيم التضحية والفداء[٥٦].

ومن ثم يمكن استغلال هذا الضعف من خلال استخدام الأداة الإعلامية لهدم هذه الأسطورة، وبث الشعور بأنهم فى خطر وعدم أمان، وأن حياتهم أصبحت مهددة، وعلى هذا الأساس تبنى نصر الله ما سماه بـ« توازن الرعب»، وهو يقوم بالأساس على التخويف وهز ثقة المجتمع الإسرائيلى من خلال:

- استخدام خطاب مفرداته شديدة تحمل تهديدًا مباشرًا: **«لن تستطيعوا البقاء فى أرضنا . . لو دخلتم إليها سنخرجكم بالقوة . . سنحول أرض جنوبنا العالى إلى مقبرة للغزاة الصهاينة»**[٥٧]، والعمل على تزامن الخطاب مع العمليات العسكرية التى استهدفت العدو لإضفاء المصداقية عليه ولبث مزيد من مشاعر الخوف.

- توليد الشعور لديهم بأنهم فى مأزق وليس أمامهم خيارات سوى وقف العدوان: **«أذكّر الصهاينة: أمامكم خيار واحد؛ وقف العدوان والإصغاء إلى المعالجات السياسية، ولن ينقذكم أحد من مأزقكم، إذا كنتم تراهنون على الإدارة الأمريكية وأنها قادرة على**

إنقاذكم؛ فهى أعجز من أن تنقذ نفسها فى العراق أو فى أفغانستان، فضلاً عن أن تأتى لإنقاذكم. . . أقول للإسرائيليين إن رهانكم على الأمريكيين رهان فاشل»[٥٨].

- توليد الشعور بالخوف من المجهول: **«هو يواجه قوة لا يعرف عنها شيئًا وهذا من أهم أسرار هذه القوة»**.

- التأكيد على أن الانتصار للبنان أمر مؤكد، وأنهم لن يستطيعوا القضاء على حزب الله: **«إننى أؤكد لكم جميعًا؛ للعدو، للصديق، للعالم كله، أنكم لا تستطيعون القضاء على حزب الله»**. . . **إن رهانكم على استمرار الحرب والعدوان هو رهان فاشل، إن رهانكم على تراجع إرادتنا وإرادة شعبنا وقوانا السياسية فى لبنان هو رهان فاشل. . إن الخيار الوحيد الصحيح والسليم هو وقف العدوان والإصغاء للمعالجة السياسية، والانتهاء من هذه الحماقة التى ارتكبتموها ولن تنتهى إلا بانتصار لبنان**[٥٩].

- التشكيك فى قدرات وأداء قيادتهم السياسية والعسكرية: **«فليسأل كل إسرائيلى نفسه اليوم عن أداء قيادته السياسية والعسكرية، وعن كل هذه الحرب التى قاموا بها بعد أسر الجنديين الإسرائيليين. . هل أدت إلى إطلاق سراح الجنديين الإسرائيليين؟ هل ستعيد إليهم الجنديين الإسرائيليين؟ أبدًا! فى الوقت الذى كان يستطيع أن يعالج هذا الأمر من خلال تفاوض كما فعل قبله شارون، ولكن هو لم يلجأ إلى هذا الأسلوب وذهب بعيداً أيضًا. . أريد منهم أن يسألوا أنفسهم وأن يسألوا قيادتهم عندما قيل إن هدف هذه الحرب هو إعادة تعزيز قدرة الردع عند الجيش الإسرائيلى. . هل تعززت هذه القدرة؟ قالوا إنهم يقولون إنهم يريدون أن يصححوا صورة وهيبة الجيش الإسرائيلى. . هل تصححت هذه الصورة أم ازدادت تهشيمًا وضعفًا وهوانًا؟»**[٦٠].

- إظهار مدى الكذب الذى تمارسه الحكومة الإسرائيلية على شعبها: **«نحن لا نكذب على شعبنا، ولكن العدو هو الذى يكذب على شعبه، هو الذى يمارس الرقابة الإعلامية، هو الذى لا يقول الحقائق، لا لشعبه ولا للعالم، وهذا دليل على ضعفه»**[٦١].

• الخلاصة

أثبت حسن نصر الله نجاحًا كبيرًا فى استخدام خطبه كإحدى الأدوات الإعلامية فى الحرب النفسية التى شهدتها مرحلة العدوان الأخير على لبنان، وليس ذلك فى نظر

أنصاره؛ بل فى نظر العدو أيضًا؛ فقد قام أحد الدارسين الإسرائيليين بمؤسسة بن جوريون باستطلاع رأى حول إدارة إسرائيل للعلاقات العامة أثناء الحرب، والتى أكدت أن الشعب الإسرائيلى يرى فى نصر الله القائد الإعلامى الجيد، كذلك خلص إلى أن حسن نصر الله استطاع أن يكسب ثقة الشعب الإسرائيلى، والتى تفوق ثقتهم بمسئولى حكومتهم؛ وذلك لأنه يقول ما يفعل ويفعل ما يقول[٦٢].

وقد استطاع نصر الله من خلال خطبه التأكيد على عدة أمور:

أولاً: أن الحروب لم تعد تحارب بجيوش؛ وإنما الإستراتيجية الدفاعية فى أى دولة تتطلب تفعيل فواعل جديدة قادرة على المواجهة، واستخدام أدوات غير تقليدية، وعلى رأسها الأداة الإعلامية.

ثانيًا: أن المقاومة يجب أن تبدأ من الداخل، من خلال بناء النسق الفكرى والقيمى لمعرفة من هو عدونا، ولماذا، وماذا يفعل، وماذا يجب أن نفعله لمواجهته، والحدود المعيارية التى يجب الالتزام بها؟

ثالثًا: استطاع حسن نصر الله خلق إدراك جديد؛ وهو أن القوة ليست فقط قوة مادية؛ وإنما يمكن تفعيل عناصر قوة أخرى غير مادية، قد تفوق القوة المادية. كذلك إن الضعف ليس فقط ضعفًا فى القوة المادية؛ وإنما الأخطر هو ضعف عناصر القوة غير المادية، والتى يجب أن يتم تنميتها من جانبنا واستغلال وجودها لدى العدو.

* * *

الهوامش :

١ـ د. سعيد العبيدى، الحرب النفسية فى النظام الدولى الجديد واتجاهات التحصين فى المنطقة العربية الإسلامية.

٢ـ كلمة نصر الله فى افتتاح مؤتمر ثقافة المقاومة وتحديات الواقع وآفاق المستقبل، ٢٣/ ٥/ ٢٠٠٦ .

3 - Passner Deborah, Hassan Nasr Allah in his own words, CAMERA Committee for Accuracy in Middle East Reporting in America, 26 July 2006, www.camera.org

4- Moubayed Sami, Who is Hassan Nasrallah, World Politics Watch, 17 July 2006, www.worldpoliticswatch.org

٥ ـ خالد أبو بكر ، حسن نصر الله حرب نهاية إسرائيل، القاهرة، كنوز للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦ .

٦ـ السيد حسن نصر الله يروى سيرته، مجلة ماجازين الفرنسية، ٢٨/ ١١/ ١٩٩٧ .

٧ـ السيد حسن نصر الله، السيرة الذاتية، المستقبل العربى، أكتوبر ٢٠٠٦ .

٨ـ السيد حسن نصر الله يروى سيرته، مرجع سبق ذكره.

٩ـ على الرز، من مدرسة النجاح فى الكرنتينا إلى النجاح فى مدرسة النصر، صحيفة الرأى العام الكويتية، ١٠/ ٦/ ٢٠٠٠ .

١٠ـ السيد حسن نصر الله، السيرة الذاتية، مرجع سبق ذكره.

١١ـ المرجع السابق.

١٢ـ السيد حسن نصر الله يروى سيرته الذاتية، مرجع سبق ذكره.

١٣ـ على الرز، مرجع سبق ذكره.

١٤ـ السيد حسن نصر الله، السيرة الذاتية، مرجع سبق ذكره.

١٥ـ مرجع سابق.

١٦ـ السيد حسن نصر الله يروى سيرته، مرجع سبق ذكره.

١٧ـ على الرز، مرجع سبق ذكره.

١٨ـ السيد حسن نصر الله، السيرة الذاتية، مرجع سبق ذكره.

١٩ـ على الرز، مرجع سبق ذكره.

٢٠ـ هذا الجزء من البحث مبنى على دراسة للباحثة بعنوان: «الدلالات الحضارية فى خطب حسن نصر الله فى مرحلة العدوان على لبنان». (فى) د. نادية مصطفى ود. سيف الدين عبد الفتاح (تنسيق وإشراف)، أمانى غانم، مدحت ماهر (مراجعة وتحرير)، العدوان، المقاومة الحضارية فى حرب لبنان: الدلالات والمآلات، برنامج حوار الحضارات، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٧ .

٢١ـ كلمة حسن نصر الله فى العيد السادس للمقاومة والتحرير، ٢٥/ ٥/ ٢٠٠٦ .

٢٢ـ كلمة حسن نصر الله فى مهرجان النصر الإلهى، ٢٢/ ٩/ ٢٠٠٦ .

٢٣ـ خطاب السيد حسن نصر الله، ٢٦/ ٧/ ٢٠٠٦ .

٢٤ـ كلمة نصر الله فى افتتاح مؤتمر ثقافة المقاومة وتحديات الواقع وآفاق المستقبل، ٢٣/ ٥/ ٢٠٠٦ .

25 - Passner Deborah, Op-Cit.

٢٦ ـ خطاب السيد حسن نصر الله ، ٢٦/ ٧/ ٢٠٠٦ .

٢٧ـ خطاب السيد حسن نصر الله، ٣/ ٨/ ٢٠٠٦ .

٢٨ـ خطاب السيد حسن نصر الله، ٢٦/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٢٩ـ المرجع السابق.
٣٠ـ خطاب حسن نصر الله فى مهرجان النصر الإلهى.
٣١ـ خطاب السيد حسن نصر الله، ٢٦/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٣٢ـ المرجع السابق.
٣٣ـ المرجع السابق.
٣٤ـ كلمة نصر الله فى افتتاح مؤتمر ثقافة المقاومة وتحديات الواقع وآفاق المستقبل، ٢٣/ ٥/ ٢٠٠٦ .
٣٥ـ خطاب نصر الله فى ١٢/ ٨/ ٢٠٠٦ .
٣٦ـ خطاب السيد نصر الله، ٣/ ٨/ ٢٠٠٦ .
٣٧ـ كلمة نصر الله فى افتتاح ثقافة المقاومة وتحديات الواقع وآفاق المستقبل، ٢٣/ ٥/ ٢٠٠٦ .
٣٨ـ خطاب السيد حسن نصر الله، ٢٦/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٣٩ـ خطاب السيد حسن نصر الله، ٢٩/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٤٠ـ خطاب السيد حسن نصر الله، ٢٦/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٤١ـ خطاب السيد حسن نصر الله، ٩/ ٨/ ٢٠٠٦ .
٤٢ـ المرجع السابق.
٤٣ـ المرجع السابق.
٤٤ـ المرجع السابق.
٤٥ـ خطاب السيد حسن نصر الله، ٢٩/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٤٦ـ خطاب السيد حسن نصر الله، ١٤/ ٨/ ٢٠٠٦ .
٤٧ـ خطاب السيد حسن نصر الله، ٢٩/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٤٨ـ خطاب السيد حسن نصر الله، ٩/ ٨/ ٢٠٠٦ .
٤٩ـ خطاب السيد حسن نصر الله، ٣/ ٨/ ٢٠٠٦ .
٥٠ـ خطاب السيد حسن نصر الله، ٢٦/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٥١ـ المرجع السابق.
٥٢ـ خطاب حسن نصر الله فى مهرجان النصر الإلهى.
٥٣ـ خطاب السيد حسن نصر الله، ١٤/ ٨/ ٢٠٠٦ .
٥٤ـ حامد ربيع، الحرب النفسية فى الوطن العربى (بغداد : دار واسط للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٩).
٥٥ـ كلمة نصر الله فى افتتاح مؤتمر ثقافة المقاومة وتحديات الواقع وآفاق المستقبل، ٢٣/ ٥/ ٢٠٠٦ .
٥٦ـ المرجع السابق.
٥٧ـ خطاب السيد حسن نصر الله، ٩/ ٨/ ٢٠٠٦ .
٥٨ـ خطاب السيد حسن نصر الله، ٣/ ٨/ ٢٠٠٦ .
٥٩ـ المرجع السابق.
٦٠ـ المرجع السابق.
٦١ـ خطاب السيد حسن نصر الله، ٢٦/ ٧/ ٢٠٠٦ .
62- Anat Breshkovsky, Poll: Israelis believed Nasrallah over Peretz, 3-9-2006, www.ynetnews.com